الفرج بعد الشدة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا، وبعد الضيق سعة ومخرجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يا لطيفا لم يزل، الطف بِنا في ما نزل، واجعلنا في حصن التحص بك يا أول، يا من إليه الالتجاء وعليه المعول، وأشهد أن سيدنا وسندنا وفخرنا محمدا عبد الله ورسوله، اللهم صل على سيدنا صلاة دائمة بدوام ملك الله وسلم، وبعد،،،

فمن سنن الله في خلقه أن جعل الحياة دائرة بين الشدة والفرج، والضيق والسعة، والحزن والسرور، والفقر والغنى، والصحة والمرض، والشغل والفراغ، والراحة والتعب، والضعف والقوة، أحوال تتغير وتتبدل، وصدق القائل:

ثمـانيـةٌ تجري على النـاس كُلِّهم ولابد للإنســـان أن يلقى الثمانية

سُـــرورٌ وحُزنٌ واجتمـاعٌ وفُرقـةٌ وعُســرٌ ويســرٌ ثم سَــقَمٌ وعافية

فالأيام دول، والليالي حُبَالى، والغيب مستور، ومن المحال دوام الحال، وأهل الإيمان الحق هم الذين يكونون في هذه الأحوال بين الشكر والصبر، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** » . [صحيح مسلم]

ومن جميل أفعال الله أن الله يأتي بالفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، حيث يقول الله جل جلاله: " **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** " [الطلاق: 7]، ويقول جل جلاله: " **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** "[الشرح: 5-6]، ولابد لإهل الإيمان أن يوقنوا أنَّ الشدة لا تدوم، والآلام لا تبقى، وأن ما من عسر إلا ويعقبه يسر، وما من ضائقة إلا ويزيلها الفرج، كما ينبغي على المسلم إذا نزلت به مصيبة، أو حلَّت به شدة، أن يحسن

التعامل معها، وأن يستثمرها لصالحه، وأن يستفيد منها أيَّما إفادة، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولا: احتساب الأجر:

أن يحتسب المسلم الأجر، وأن يعلم أن هذه الشدة وهذا البلاء مكفرٌ للذنوب، ورافعٌ للدرجات، فأما تكفير الذنوب فقد قال حضرة النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما يَزالُ البلاءُ بالمُؤْمنِ والمُؤْمِنةِ في نَفْسِه ووَلدِهِ ومَالِه حتَّى يَلْقى اللهَ وما عَلَيْهِ خَطِيئةٌ)** [سنن الترمذي]، وأما رفع الدرجات يقول حضرة النبي صلى الله عليه وسلم: **(إذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ)** [مسند أحمد]، وهذه من كمال رحمة الله بناء حتى البلايا والمصائب فيها نفع لنا إذا احتسبنا الأجر .

ثانيًا: علامة على حبّ الله:

إذا كان المسلم من أهل الصلاح ونزل به بلاء أو شدة فهذا علامة على حب الله، يقول حضرة نبينا صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، فإن اللهَ إذا أحَبَّ قَوْمًا ابْتلاهُمْ، فَمنْ رَضِيَ فَلهُ الرِّضا، ومن سَخِطَ فَلهُ السَّخَطُ)** [سنن الترمذي]، وأما إذا كان من أهل الفساد والشر والمعصية ونزل به بلاء ومصيبة فقد يكون تحذيرا من الله له ليراجع نفسه، ويعدِّل مساره، قال الله تعالى: **" وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ "** [الشوري: 30] ، فإذا نزل البلاء بعد الطاعة فهو تكفير للذنوب ورفع للدرجات وأماره على حب الله لك، واذا نزل بعد المعصية فهو عقوبة تحذيريه لترجع وتستقيم، وفي كلا الحالتين الأمر لصالحك، والعاقل الفطن هو من يفهم عن الله .

ثالثا: انتظار الفرج:

فانتظار رفع البلاء، ودفع الشدة طاعة، انتظار الفرج عبادة، يقول حضرة حبيبنا صلى الله عليه وسلم: (**سَلُوا الله من فَضْلِهِ، فَإِنَّ الله عز وجل يُحِبُّ أنْ يُسْأَلَ، وَأفْضلُ الْعِبادةِ انْتظارُ الْفَرَجِ**) [سنن الترمذي]

انتظار الفرج عبادة لأن فيه ثقة بالباري سبحانه، وحسن ظن بالخالق جل جلاله، وانتصار على اليأس، وقهر للقنوط، وتطلع الى لطف الله ورحمته، وركون الى كفايته، واعتماد على رعايته وولايته، لكل هذا ولغيره كان انتظار الفرج عبادة جليلة وعظيمة وفريدة من نوعها نتعلمها من سيدنا يعقوب عليه السلام، الذي ابتلي بفقد ولده، ومع ذلك ظل منتظرًا للفرج سنين عددًا، منتظرًا عودة ابنه يوسف عليه السلام، لم يصبه اليأس ولا القنوط ولا الإحباط، ولم يفقد الأمل من عودته ورجوعه، وحتى مع فقد ولده الثاني أيضًا ظل منتظرًا للفرج، ويقول: " ... **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** " [يوسف: 83]، مع أن من حوله أرادوا أن يحبطوه، ويقطعوا أمله، وقالوا له : " **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** " [يوسف: 85]، يعني: قال له بنوه نحلف بالله ما تزال تتذكر يوسف، ويشتد حزنك عليه حتى تشرف على الهلاك، أو تهلك فعلًا، فخفف عن نفسك، ولكنه كان واثقًا من ربه أنه سيأتيه بالفرج، فقال: " **إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** " [يوسف: 86]، يعني: قال يعقوب مجيبًا لهم: لا أظهر همّي وحزني إلا لله وحده فهو كاشف الضر والبلاء والشدة، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا تعلمون، أعلم انه كريم رحيم يكشف الضر والبلوى، فكان الفرج من الله فرد الله عليه بصره بعد أن ابيض من شدة الحزن، وردَّ الله عليه ولديه – يوسف وبنيامين -، وهكذا من عامل الله باليقين عمله الله بالمعجزات، وصدق القائل:

وإذا البشائرُ لم تَجِن أوقاتها ... فلِحكمةٍ عندَ الإله تأخرتْ
سيسُوقها في حينها فاصبرلها ... حتى وإن ضاقتْ عليكَ وأقفَرتْ
فغداً سيجري دمع عينكَ فرحةً ... وترى السحائبَ بالأماني أمطرَتْ

وترى ظُروفَ الأمسِ صــارت بلسَــماً وهي التي أَعيَتْـك حينَ تعسّــرتْ

وتقولُ ســبحـانَ الـذي رفعَ البلا مِن بعـد أن فُقـد الرجـاءُ تيســرتْ

اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلني إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت، اللهم يا فارج الهم، وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمنا رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، اللهم فرج عن أهل فلسطين وغزة وانصرهم واحفظهم، واشف مريضهم، وأطعم جائعهم، وأهلك عدوهم وعدونا يا رب العالمين .

كتبه: محمد محمد إسماعيل محمد ملكه مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل .